

تفسير ابن كثير

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

يقول تعالى مسليا لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه : (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) أي : قد أحطنا علما بتكذيب قومك لك ، وحزنك وتأسفك عليهم (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) [فاطر : 8] كما قال تعالى في الآية الأخرى : (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) [الشعراء : 3] (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) [الكهف : 7] وقوله : (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي : لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي : ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم ، كما قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علي [رضي الله عنه] قال : قال أبو جهل للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب ما جئت به ، فأنزل الله : (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ورواه

الحاكم ، من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ،
ولم يخرجاه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الوزير الواسطي بمكة ، حدثنا بشر بن
المبشر الواسطي ، عن سلام بن مسكين ، عن أبي يزيد المدني ؛ أن النبي - صلى الله عليه
وسلم - لقي أبا جهل فصافحه ، قال له رجل : ألا أراك تصافح هذا الصباي ؟ ! فقال :
والله إني أعلم إنه لنيبي ، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاء ؟ ! وتلا أبو يزيد : (فإنهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) قال أبو صالح وقتادة : يعلمون أنك رسول
الله ويجحدون . و ذكر محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، في قصة أبي جهل حين جاء
يستمع قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الليل ، هو وأبو سفيان صخر بن حرب
والأخنس بن شريق ، ولا يشعر واحد منهم بالآخر . فاستمعوها إلى الصباح ، فلما هجم
الصبح تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال كل منهم للآخر : ما جاء بك ؟ فذكر له ما جاء
له ثم تعاهدوا ألا يعودوا ، لما يخافون من علم شباب قريش بهم ، لئلا يفتنوا بمجيئهم
فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنا أن صاحبيه لا يجيئان ، لما تقدم من العهود ،
فلما أجمعوا جمعتهم الطريق ، فتلاوموا ، ثم تعاهدوا ألا يعودوا . فلما كانت الليلة الثالثة

جاؤوا أيضا ، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها [ثم تفرقوا] فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه في بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، قال : فقام عنه الأخنس وتركه وروى ابن جرير ، من طريق أسباط ، عن السدي ، في قوله : (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمدا ابن أختكم ، فأنتم أحق من كف عنه . فإنه إن كان نبيا لم تقاتلوه اليوم ، وإن كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته قفوا ها هنا حتى

ألقى أبا الحكم ، فإن غلب محمد رجعتم سالمين ، وإن غلب محمد فإن قومكم لم
يصنعوا بكم شيئاً . فيومئذ سمي الأخنس : وكان اسمه " أبي " فالتقى الأخنس وأبو جهل
، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد : أصادق هو أم
كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك!
والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء
والسقاية والحجاب والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : (فإنهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فأيات الله : محمد - صلى الله عليه وسلم - .